مجلة تمثلات/ جامعة مولود معمري تيزي وزو المجلد 08 العدد01 السنة 2024
ص 10 – ص 19 ISSN:2437-0622 EISSN 2710-8678

تجليات مصطلح الثورة وارتباطه بمصطلحات أخرى الحرب، العنف، الصراع، التاريخ، السيادة في روايات "مولود فرعون" أنموذجا.

The manifestations of the term revolution and its association with other terms. war, violence, conflict, history, sovereignty in the novels of Mouloud Pharaon as a model.

نادية كبدي / *Nadia KEBDI* *

طالبة دكتوراه ، **جامعة مولود معمري تيزي وزو.**

kebdinadia@gmail.com

مخبر التمثلات الفكرية والثّقافية

تاريخ الإرسال:2021/08/01 تاريخ القبول: 2022/03/13. تاريخ النشر: 2024/01/29

ملخص: تطرقنا في دراستنا هذه إلى إبراز تمظهرات صورة الوطن والثورة في الأدب الجزائري، من خلال أعمال أدباء وشعراء واكبوا بصوتهم وأقلامهم الثورة التحريرية المشحونة بروح الصمود والمقاومة.أقدم من خلال هذه الورقة البحثية مدى إسهامات الكاتب الجزائري مولود فرعون في الثورة ، هذا جلي في رواياته :ابن الفقير ،الأرض والدم ، الدروب الوعرة التي تبث بروح التحدي، وهي نموذج لصورة المعاناة والصراع الذي عاشه المواطن الجزائري أثناء الثورة، الذي قدم تضحيات جسام لاسترجاع السيادة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: مولود فرعون؛ الثورة؛ الأدب الجزائري؛ العنف والصراع في الرواية.

Abstract : *In this study , we will discuss the manifestations of the image of the homeland and the revolution in Algerian literature , through the works of writers and poets , they accompanied , with their voice and pens ,the liberation revolution charged with the spirit of steadfastness and resistance. Ipresent through this research paper the extent of the contributions of the Algerian writer Mouloud Pharaon to the revolution , this is evident in his novels: Ibna al – Faqir , Earth and blood , rough paths , that inspires a spirit of challenge ,It is a model for the image of the suffering and struggle experienced by the Algerian*

*- المؤلف المرسل

citizen during the revolution , who made huge sacrifices to restore national sovereignty.

Key- words : *Mouloud Pharaon ,revolution , Algerian literature, violence and conflict in the novel..*

مقدّمة:

كان حضور الثّورة التحريرية في الرواية الجزائرية حضورا كبيرا، وتعتبر من أكبر الثورات الإنسانية العالمية التي تستهدف تحرير الإنسان من العبودية والاستغلال، سجل فيها المجتمع الجزائري بطولات وتضحيات جسام أجبرت المستدمر الفرنسي على الجلوس لطاولة المفاوضات التي توجت فيها باتفاقية توقيف النّار وتحقيق الاستقلال التّام بالجزائر. وقد كان لهذا الحدث وقع الخاص في نفوس الأدباء والمثقفين الجزائريين بصفة عامة حيث أثار النخوة في قلوبهم، وأضرم فيها نار الثّورة والتمرّد، فأبرموها حربا ضارية ضد المستعمر الغاشم ليشتد الصراع بين الكيان الجزائري والكيان الفرنسي، خاصة مع تزايد وعي الكيان الجزائري بالأوضاع المتردية التي يعيشها أبناء بلده والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فظهر مصطلح أدب الثورة أو أدب المقاومة التي تستهدف محاربة الاحتلال وتعرية أهداف الثّورة الاستعمارية وكشف نواياها وبالتّالي سجلت الرواية الجزائرية حضورا قويا في تلك الفترة، فكانت أكثر الأجناس الأدبية بروزا وانتشارا باعتبارها الوعاء الذي يحوي القضية الجزائرية بكل معالمها وأبعادها، فملحمة أول نوفمبر أفرزت أدبها بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر بكل ما يحمل هذا الأدب في رحمه من تناقضات هي نفسها التناقضات التي صاحبت كلّ فعل ثوري، حيث وجد الأديب الجزائري الشّكل الملائم للتّعبير عن قضية شعبه ووطنه، وآماله الكبيرة في تحقيق الاستقلال والحرية.كم شهدت هذه الفترة ميلاد الرواية الجزائرية والتي أسستها جماعة من المثقفين

الجزائيين خرجي المدارس الفرنسية أمثال: "مُحَمَّد ديب" و"مولود معمري" و"كاتب ياسين" و"مولود فرعون"، حيث أسهم هذا الأخير من خلال أدبه إلى تعرية الواقع في ظلّ وجود المحتلّ الفرنسي، الذي مارس سياسة القهر، فوجد المواطن نفسه أمام صراع كبير اتّجاه الأوضاع المزرية وانعكاساتها السّلبية في جميع الميادين. تهدف هذه الدراسة إلى التّذكير بتاريخ الثّورة الجزائرية التي تفوق شهرتها حدود وطنية إلى عالمية. من خلال ما سبق سأحاول الإجابة عن تساؤلات أبرزها: ما مدى مشاركة مولود فرعون في الثّورة الجزائرية ؟ وما هي تجليات صور المعاناة والصراع في الروايات؟.

2. نبذة عن حياة مولود فرعون:

ولد مولود فرعون في يوم 8 مارس 1913م بقرية تيزي هيبل، وهي قرية من القرى المجاورة لبني دواله وتقع على بعد كيلو متر من مدينة تيزي وزو، تحصل سنة 1935 على منصب معلم للغة الفرنسية بمدينة تاوريرت موسى التي لا تبعد عن مسقط رأسه، وفي سنة 1946م عيّن مديرا لنفس المدرسة وترأس سنة 1952م إدارة الدروس الابتدائية بعين الحمام . وفي سنة 1957م عيّن على رأس ادارة النّاطور بسلامبي وعيّن 1960م مفتشا للمراكز الاجتماعية التي أنشئت سنة 1955م بمبادرة جرمان تريليون.وفي 15 مارس من عام 1962م فاجأته فرقة من المنطقة العسكرية السرية مع خمسة من أصدقائه بشاتو وريال بالأبيار في اجتماع واردته قتيلا .

كان مولود فرعون يقطع مسافة طويلة يوميا إلى المدرسة سعيا على الأقدام في ظروف صعبة ، فتحدّى الظروف القاسية والمصاعب المختلفة بمثابرته واجتهاده وصراعه مع الواقع الرّازح تحت وطأة الاستعمار الفرنسي وبهذا الصراع استطاع أن يتغلب على

الحواجز مما أهله للظفر بمنحة دراسية للثانوي في تيزي وزو أولا وفي مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة بعد ذلك، ورغم وضعه البائس تمكّن من التخرج من مدرسة المتعلمين واندفع للعمل بعد تخرجه، فاشتغل بالتّعليم حيث عاد إلى قرية تيزي هيبل التي عيّن فيها مدرسا سنة 1935 م في الوقت الذي بدأ يتسع عالمه الفكري وأخذت القضايا الوطنية تشغل اهتمامه. وفي مدرسة قريته عيّن في إطار لعمل إداري التربوي عام 1952م في الأربعاء ناث إيراثان، أما سنة 1957م فقد التحق بالجزائر العاصمة مديرا لمدرسة ندور.

تعتبر مهنة التّفتيش آخر وظيفة له قبل أن يسقط برصاصة الغدر والحقد الاستعماري سنة 15 مارس 1962م، حيث كان في مقر عمله مهموما بقضايا العمل وبواقع عمله خاصة في المدن الكبرى حيث أصبحت عصابة المنظمة المسلّحة السّريّة الفرنسيّة المعروفة بأويس تارس جرائم الاختطاف والقتل ليلا ونهارا، حيث اقتحمت مجموعة منها على مولود فرعون وبعض زملائه في مقر عملهم، فيسقط برصاصة العصابة ويكون واحدا من ضحاياهم فتفقد بذلك الجزائر مناضلا بفكره وقلمه.

وكان مولود فرعون يلفت انتباه مواطنيه كلّما أصدر كتابا جديدا، وكان آنذاك معلما قرويا ساهم كثيرا في دعم القضيّة الوطنيّة وإيقاظ الوعي للشّعب الجزائري.

1.2 مؤلفاته:

ترك مولود فرعون عدّة مؤلفات أدبية بالإضافة إلى الكثير من المقالات منها:

أيّام قبائلية ويتكلم فيها عن عادات وتقاليد المنطقة سنة 1954م .

أشعار سي محند سنة 1960م.

ابن الفقير كتبها في شهر أفريل سنة 1940م .

الذّكرى طبع سنة 1972م.

الدروب الوعرة سنة 1957م

الأرض والدم طبع سنة 1935م.

مدينة الورود طبع 2007م.

بالإضافة الرسائل إلى الأصدقاء طبع سنة 1969م.

هذه المؤلّفات المذكورة تتحدّث عن معاناة الجزائريين تحت وطأة الاستعمار الغاشم والمحاولات العديدة لطمس هويته.

من أقواله الشّهيرة: أكتب بالفرنسيّة وأتكلّم بالفرنسية لأقول للفرنسيين: أنّي لست فرنسيا. هنا تبرز لنا علاقة الأديب بالأدب بطريقة وطيدة، فالأديب شخص مبدع يكتب بقلمه لينقل لنا الواقع أثناء الثّورة الجزائرية التّحريرية، فالأدب يستنهض الهمم وينشر الوعي من أجل الثّورة ، يقول مُحَمَّد أحمد عطية :«العلاقة بين الأدب والثّورة علاقة تأثّر فالأدب يدعو إلى الثّورة والتّغيير والثّورة تغيّر من مفاهيم الأدب وشخصياته ورؤاه »[1] هذا معناه أنّ أدباء الجزائر ارتبطوا بالثّورة الجزائريّة أيّما ارتباط.

2.2 إسهامات مولود فرعون في الثورة :

يعتبر هذا الكاتب الجزائري الراحل، مثقّف قارع للاستعمار بلغته، يكتب بالفرنسية كي يقول للفرنسيين أنا لست فرنسيا، فلقد ألّف روايات ابن الفقير، الأرض والدم، الدروب الوعرة في سرديات تنبثق من أعماق الوطن الجزائري القابع تحت الاحتلال ولم ينسى فضح ضلال الاستعمار ليقول للفرنسيين لا بلغتهم.

استخدم "مولود فرعون" الفرنسية لغة الكتابة، فهو من أولئك الذين لا يعتقدون بأنّ اللغة الفرنسية هي حتما لغة استعباد والاستعمار الثّقافي، بل ما سمح له بفهم الآخر بواسطة هذا السلاح المشترك الذي وصفه كاتب ياسين بجزية الحرب.

وقف مولود فرعون في وجه الاستعمار الفرنسي لا يملك إلاّ اللغة الأدبية والتّعبير عن الوجع الجزائري والمعاناة مستخدما اللّغة الفرنسية في النّضال ليقول للمحتل:«أنا أناضل ضدّكم ولن تمنعني ثقافة المهجر من النّطق بما تحتاجه الثّقافة الجزائرية التّقليدية إنّه مولود فرعون الذي سقط بنيران عصابة منظمة الجيش السّرّي في أرض الجزائر في 15 مارس 1962م »[2] أنّ الكاتب جريئ بقلمه يتحدّى الآخر.

3.2 انتقادات مولود فرعون لأعمال الثورة:

لا يتحدّث مولود فرعون في الصفحات الأولى من اليوميات عن الثّورة، حتّى أنّه وصف أعمال الفدائيين خلال معركة الجزائر بالأعمال التّخريبيّة الصبيانية لكن سرعان ما عدّل عن رأيه عام 1955م فأصبحت يومياته يوميات حرب، لكنّه ينتقد ممارسات الطرفين أي جيش الحرير الوطني والجيش الفرنسي على حد سواء، ويقف إلى جانب الأهالي ولا ننسى أنّ فرعون ظلّ يمقت العنف، يبقى الفعل الثّوري عمل جماعي ناتج عن قناعة يمارسها الشّعب من أجل التّغيير والأمل في مستقبل أفضل تسوده الحرية، ورفع الهيمنة والظلم والعنف «فالثورة في حقيقتها هي حدث خارق للمألوف لذلك فإنّها تغيّر كلّ شيء حتّى المستحيل يتحقّق لأنّ مجرى التّاريخ يغيّر وكلّ شيء يصبح قابلا للتّغيير والتّلوين» [3]فالثّورة تنديد بالظلم والرغبة في الحريّة والاستقلال.

3. آراء النّقاد حول رواية ابن الفقير:

مجلة تمثلات/ جامعة مولود معمري تيزي وزو المجلد 08 العدد01 السنة 2024
ص 10 – ص 19 ISSN:2437-0622 EISSN 2710-8678

يعدّ مولود فرعون أحد أكبر كتّاب المغرب العربي، لقد كانت رواية "ابن الفقير" روايته الأولى ولا تزال، أوّل عمل أدبي يبدأ به كلّ تلميذ جزائري اطلاعه على الأدب الوطني.

تعتبر رواية "ابن الفقير" أوّل رواية كتبها مولود فرعون، وهي من أهم الأعمال التي ما يزال اهتمام النّقاد بها متواصلا فهو يشرح فيها كيف يتكوّن الطبع الحقيقي للرجل القبائلي حيث يولد الطفل في هذه المنطقة من أجل المعركة في سبيل الحياة، تعتبر رواية" ابن الفقير" من أشهر أعمال مولود فرعون بدون منازع ، لقد ترجمت الرواية إلى عدّة لغات وحازت سنة صدورها على الجائزة الأولى لمدينة الجزائر. بالإضافة إلى رواية الأرض والدم والدروب الوعرة اللّتان تتحدّثان أيضا عن معاناة الجزائريين إبّان الثّورة.

روائي جزائري، وأشاد بما حملته من تميّز، دفع دور النّشر عبر العالم تتهافت على ترجمتها إلى لغة عالمية نظرا لجملة الأفكار والقيم الإنسانية الرائعة التي تحملها.

قال الأستاذ "مُحَمَّد الأخضر معاقل": أنّ الرواية التي كتبها فرعون في الشهر أفريل وقارب فيها المعاناة الجزائرية تحت الظلال الفرنسي والمحاولات العديدة لطمس هويته، يظهر فرعون كمثقف سئم من فرنسا التي تدير ظهرها للسكان لذا أبرز الكاتب التزامه رفقة مواطنيه بفكرة الاستقلال .

قال الدكتور أمين الزاوي :«أن العمل الذي أبدعه فرعون حظي بالنّشر بعد 66 سنة، تصور بالفعل عمق سياقات الجذب والشّد بين الجزائريين وفرنسا، ويذهب أمين الزّاوي إلى أنّ الرواية كان يمكن لها لو صدرت حين كتابتها أن تثير قدرا غير قليل من الضّجيج ويلفت الزّاوي إلى أنّ العمل تنازل البعد المرتبط بالهوية»[4] هذا معناه أنّ الاهتمام

بالعمل الأدبي قد يكسبه القيمة، وذلك بنشره لكي يطالع من طرف القرّاء، هذا يبعث فيه الحيويّة والشّهرة والاستمراريّة.

إنّ مبادرة جماعة من النّقاد بتصنيف رواية الكاتب الجزائري الفرانكفوني الرّاحل "مولود فرعون" التي تجعل عنوان "ابن الفقير" كأفضل رواية جزائريّة على مدى الخمسين عاما الماضية، ولم يكن مولود فرعون يكتب الرّواية كما يكتبها جيلنا اليوم، للشّهرة أو التّسلية أو ليقول عنه أنّه روائي لأنّ الكتابة في تصوّره تتجاوز حد المتعة الأدبية الخالصة إلى التّسجيل التّاريخي، وكذا لإظهار للرأي العام العالمي مدى رفضه للسياسة الاستبداديّة، يقول مُحَمَّد العيد آل خليفة:

"والشّعب ضجّ من المظالم ** فانشدوا حرية تحميه واستقلالا"[5] .

فالثّورة سبيل للوصول إلى الحرية.

1.3 المقابلة الصحفية النّادرة مع الكاتب الجزائري مولود فرعون :

نشأت صداقة مع "مولود فرعون" والصحافي "موريس مونييه" لمدة طويلة، كانا يتراسلان ويطلب كلّ واحد منهما رأي الآخر في قضية ثقافية أو مقال أو كتاب، واللّقاء بينهما لم يكن لقاء صحافي مع روائي ، فتضمن ذلك الحوار مجموعة من التّساؤلات التي طرحها الصحفي "موريس مونييه" لمولود فرعون، قال له: «حدثني عن روايتك الأولى قال: كتبت نجل الفقير صدرت أثناء الحرب الغامضة وعلى ضوء مصباح تقليدي، ولقد سخرت كلّ ما أملك لإنجاز هذا العمل. تعتبر سيرة ذاتية أليس كذلك ؟ قال نعم أنا مرتبط جدّا بهذا الكتاب وقت كتابته لم أكن لأشعر بحاجتي إلى الأكل، إلاّ فعلا عندما أشعر بالجوع.كيف جاءتك فكرة هذه الرواية الجديدة ؟ قال سبق أن قلت

لك أن نجاح عملي الأول شجعني على كتابة عدد من الأعمال الأخرى جاءتني فكرة بإمكاني ترجمة الروح الأمازيغية، أن أكون شاهدا أنا من أصول قبائلية. متى تكتب، قال: أكرّس يومي كلّه لمهامي المهنية أكتب ليلا أو من خلال العطلة، أسود أوراقي تقريبا كلّ يوم تقريبا ثلاث إلى أربعة صفحات. ما هي الكتب التي تحبها ؟ قال: لقد قرأت كتبا كثيرة في جميع الأصناف، أنا الآن أكثر إلحاحا ممّا كنت عليه في السّابق، أتذوق الكتب الإنسانية الحقيقية، الكتب التي تثمن الإنسان في جميع أبعاده، لأنّ الإنسان ليس بصراحة خيّرا وليس بصراحة شرّيرا، الكاتب ليس لديه الحق في الحديث عن الكاتب باستسهال»[6]. هذا يكشف عن أغوار شخصية الروائي.

4. تجليات المعاناة والعنف والصراع في روايات مولود فرعون"ابن الفقير"،"الأرض والدم" ،"الدروب الوعرة "أنموذجا :

1.4 في رواية "ابن الفقير" :

إنّ رواية ابن الفقير هي « توليفة غنية بالصراعات من حيث أنها سيرة ذاتية تحاكي حياة الشاعر بكل ما فيها من أفراح وأقراح، فالولد القبائلي يولد في هذه المنطقة من أجل معركة عن الحياة وهي معركة قاسية وطويلة للغاية، إنّ الوقوف عند الماضي الثّوري وما نجم عنه من أوضاع سياسية واجتماعية خاصة، هو الذّي جعل الرّوائي يتجه في بداية الأمر إلى الثّورة يستقي منها ومن بطولاتها موضوعاته الأساسية»[7].كلّ هذه الأوضاع المزرية دفعت بالشّعب الجزائري إلى إعلان الثّورة .

كتب مولود فرعون في كتاباته يعبّر عن الطبيعة الاستعمارية الظالمة و يقول :«إنّ مظاهر طبيعتهم نحونا ليست سوى مظاهر كراهيتهم لنا... لكن كراهيتهم لنا كانت

ذكية لدرجة أننا نفهم لقد أخذناها على أنها طيبة فأصبحوا الطيبين ونحن السيئين وأصبحوا المتحضرين ونحن البرابرة هم المؤمنين ونحن الكفرة»[8] هذا يعني يبقى المستعمر استغلالي واستبداد مهما أظهر من طيبة.

كانت الشخصيات في رواية ابن الفقير تعاني من الفقر الشديد إبان الوجود الاستعماري حيث يقول فورولو:«اللحم سلعة نادرة في منزلنا أو بالأحرى الكسكسى الطعام الوحيد لأهلنا وبالفعل لا نحصى كمشه الحمص والفول، التي تضعها في القدر مع قليل من الدهن وثلاثة لترات مياه لإعداد المرق، ولا ملعقة زيت التي نضعها في كل وجبة، ولا حتى حفنة التين التي نقضمها من حين لآخر. فيما عدا ذلك لدينا مقدرة على التهام كل الأعشاب الخضراء القابلة للطعام التي تقع تحت أيدينا في الحقول»[9]. تعبير عن الفقر المتقع المنتشر في الواقع الجزائري. لقد عانت حقا الأسر الجزائرية إبان الوجود الاستعماري من الحرمان والفقر وتجلى ذلك في رواية ابن الفقير عندما يصف "فورولو" أهله منهم ابنة عمه شابحة، يقول:«مازلت أتذكر شابحة المسكينة ، تغني وهي تجمع الزيتون تسعد عندما تملأ سلتها ، كانت تمضي باقي اليوم في الشارع بين التنقيب عند الجيران واللعب مع البنات الأخرى والتلاميذ، وبين الالتقاط هنا وهناك قطعة خبز، أو ملعقة كسكسى أو بعض التين، كما وصف أيضا فورولو وضعه المزري إبان الثورة يقول: أتذكر صورتي مرتديا جلبابا قديما، فقد ألوانه بفعل الغسيل، ويعلو رأسي طربوش أطرافه قذرة، وكذلك لا أرتدي سروال وحذاء، لأنه في ذاكرتي أعيش في صيف دائم أظافري تملأها القذارة»[10]. وهذا الوصف يعبر عن الحالة المزرية التي يعيشها ابن الفقير، كذلك هذه راوية لا تخلو من الصراع والذي يتمثل فيما يلي:

*** الصّراع النّفسي:**

إنّ رواية ابن الفقير غنية الصراعات من حيث أنها سيرة ذاتية تحاكي حياة الراوي بكل ما فيها من أفراح و أقراح لذلك كان أمرا بديهيا أن يطغى عليها الصراع التي يترجم كل التجارب التي عايشها الراوي، وفي هذه الرواية انقسم الصراع إلى قسمين صراع داخلي وصراع خارجي .

–الصّراع الدّاخلي:

تجلى في صراع الراوي مع نفسه، في تلك القرية القبائلية التي عايش فيها مرحلة صعبة وعنيفة، الذي امتزج فيه الفقر والحرمان وهذا ما أشار إليه الكاتب في رواية ابن الفقير، حيث قال الكاتب: «كان والدي وعمي من فقراء حينا ولكن صراعه استطاع التغلب على كل الحواجز التي واجهته نتيجة السياسة الاستعمارية المزرية وبالرغم من نجاح "ابن الفقير" في اختبار الشهادة الابتدائية وتجلّى أيضا ذلك في قول الكاتب من الرواية:إنّه من دواعي سروري أن أكتب لأعلمك أني نجحت في اختبار الشهادة الابتدائية»[11] ولكن هذا لم يمنع ولم يوقف الشقاء والتعب بسبب عدم قدرته على دفع رسوم السكن الداخلي ، مما دفعه في تبشيرية والإقامة بها مدة دراسته.

– الصّراع الخارجي:

ويظهر في صراع الراوي مع أهله وأفراد قريته، حيث أنّ المجتمع القائلي يمارسون الحرف والفلاحة التقليدية، فيصدم بهذا الواقع المؤلم وقد أشار الكاتب إلى ذلك في الرواية:" لا أخ في الواقع كان يؤمن بمشروعه ولا حتى والداه اللذان لا يكفيان عن لامبالاتهما، وعدم الاهتمام بمشاريعه المدرسية "لقد شهدت الجزائر أثناء الوجود الفرنسي

من عدم اللامبالاة بالمساجد، فهي تشبه البيوت إلى حد العجز في التفريق بينهما وبالتّالي فقدت أهميتها فلا تجد فيها أي ملمح يشير إلى الثقافة الإسلامية وبعض الأحيان ما نجدها خالية من الناس وأشار الكاتب إلى هذا النوع في قوله:" في القرية مسجدان أيضا غير أن المسجدان ليس لهما أهمية تاجماعت ، مظهرها الخارجي يشبه بقية المنازل المجاورة، أما أرضيتها من الإسمنت وجدرانها مدهونة بالكلس الأبيض"[12]وهذا يوحي بالفقر والمعاناة.

2.4 في رواية الأرض الدم:

عندما رحل الجزائريون للعمل في فرنسا من أجل العيش، ولكن لم يسعفهم الحظ فقد لقوا العمل في ظروف صعبة وقاسية واستعباد وهذا ما تجلّى في رواية الأرض والدم، حيث قال الراوي: «الجو المستعصي عن النّفس، العرق، العمل دون انقطاع على ضوء مصابيح العمال في المناجم، المراقب الذي يضايقهم في كلّ لحظة ومكان ...»[13] وهذا يبرز حالة المعاناة التي تلقاها الجزائريون في فرنسا وهم في ديار الغربة. لقد تعرض الجزائريون لهالات قتل بشعة في فرنسا إثرى الهجرة، وهذا ما تجلّى في الرواية عندما قال عامر أوقاسي : «لقد وقع حادث، لقد قتلت رابح، كان نائما على السكة الحديدية تهشم رأسه»[14]هذا يعني أن القتل الغير المتعمد، يشعر صاحبه بالذّنب طول حياته.

منذ تلك اللحظة فقد عامر لبّه «بقيت ذاكرته ملطخة بنفس البقعة الداكنة الشيء الواضح والمعروف، هو دماغ رابح الدامي رأس استحالت عجينة بخصلات لزجة وجه مريع وتجلّط أسود في الفم وفي الأنف، بينما مقلة العين البيضاء اللاّمعة، في بقعة دموية صغيرة غطس فيها الخد».[15]تبيان الكاتب بشاعة المشهد.

وهذه الصورة لم يستطع عامر أوقاسي أن يمحها من ذاكرته. هناك من راح دمه سدا في أرض غير أرضه فماتوا غرباء وهذا ما تجلّى في الرواية ، قال عامر: «نعم ، أنت تدرك إلى أيّ درجة ينبغي أن نأسى لأولئك الذين ماتوا غرباء في أرض غريبة عنهم، لن يجدوا فيها شيئا ولن يمر عليهم فيها أحد من أقاربهم...»[16] وهذا يعني أنّ موت بعض الجزائريين في الغربة أشبه بموت الكلاب.

نقول لقد تنوعت مظاهر المعاناة في رواية الأرض والدم للروائي مولود فرعون «التي تتمثّل في طرق عيش السكان التي تعتمد بالدرجة الأولى على الفلاحة، وتربية المواشي ومعظم السكان ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية الفقيرة بسبب الاستعمار الفرنسي، أمّا على المستوى الفكري فكان الجهل والأمية أكثر نسبة».[17]يمكن أن نقول أنّ رواية الأرض والدم بالرغم أنّها رواية بسيطة في عهد الاستعمار الفرنسي داخل قرية صغيرة، ولكنّها نقلت لنا أحداث مختلفة وقد استطاع مولود فرعون من خلالها نقد الوضع الاجتماعي والاقتصادي ومعاناة سكان القبائل والشّعب الجزائري.

3.4 في رواية الدروب الوعرة:

أثناء الثّورة التّحريرية هناك شخصيات عظيمة دافعت عن الحق ووقفت أمام الشعب ومعاناته وهذا ما تجلّى في رواية الدروب الوعرة، قال الراوي :«ومع ذلك فإنّ جميع النّاس يعرفون بأنّه كان أوّل من يتطوع للقيام بعمل يعود بالنّفع على القرية ، وكان ذلك قدوة حسنة للشّبّان، وعندما تتعرض القرية لاستفزازات رجال الدرك، أو تهديدات الحاكم الفرنسي يتذكر النّاس حينئذ بأنّه يوجد بينهم رجل اسمه عامر»[18] فهذا الرجل إذن يمثّل صاحب العقل الراجح لحل مشاكل القرية، تظهر شخصية عامر في هذه

الرواية محبا لوطنه الجزائر، وهذا وارد في هذا المقتطف من الرواية قال عامر:«أنا أعرف أيّها الأغبياء أنّكم لا ترحبون بي، ولكن إلى أين تريدون أن أذهب ؟ هل تعتقدون أنّ أخوالي الفرنسيين يرحبون بي ؟ أنتم مخطئون، اسألوا أولادكم ممّن كانوا معي في فرنسا فسيخبرونكم عن سيرتي في بلاد أخوالي، وهل تكبرت عن أبناء بلادي »[19] مهما بعدت عن وطنك بل وسيبقى دائما رسخا في عقلك.

ذكر عامر سياسة الاستيطان والاستعباد الفرنسي في بلادنا، ويظهر ذلك المقتطف في الرواية " وكم مرة شرحت لهم كيف غزا الفرنسيون بلادنا، وكيف وزّعت عليهم السّلطة الحاكمة الأسلحة والمعدّات والمواشي والأراضي، وكيف استقروا في بلادنا أسيادا محيطين بالرّعاية، وأخذوا يستثمرون الأراضي لصالحهم حتى أصبحوا يشعرون بأنّهم من وطنهم، أمّا عرب المنطقة التي يقيمون فيها ليسوا في نظرهم سوى جماعة غدارة من الأنديجين، كما يسمونهم أي حيوانات متوحشة غدارة لابد من الاحتراس منها .."[20] لقد انتقدت فرنسا الجزائر بأشع وأعنف الكلمات، وهذا ما ورد في هذا المقتطف من رواية الدروب الوعرة «أنتم جزائريون ...؟ طيب ولكن، ماذا تتصورون أنتم يا جماعة الأنديجين ؟ هل تعتقدون أنّنا سواسية فلتعلموا إذن أنّنا فرنسيون .. عودوا إلى أماكنكم الوضعية واعرفوا قدركم وقدرنا .. أو تريدون أن ترموا بنا إلى البحر أيّها الغدارون النّاكرون للخير»[21] هذا ما أشار إليه أحمد منّور في قوله : «كان المحتل ينظر في الغالب إلى الثّقافة المحلية نظرة احتقار» [22] هذا ما أدى بالمستعمر في البداية إلى محاولة القضاء على اللّغة العربية ، وهذا ما تطرّق إليه أيضا أحمد طمّار في قوله:«عمل الاستعمار على تحقيق منابع اللّغة

العربية ، بالقضاء على معظم الكتاتيب القرآنية والزوايا المنتشرة في جميع أقطار البلاد»[23] هذا يبرز سياسة العنف التي انتهجتها فرنسا في الجزائر.

5.نتائج الثّورة التّحريريّة على الشّعب الجزائري:

كانت نتائج ثورة أوّل نوفمبر 1954 فادحة على الشّعب الجزائري الذي قام بكفاح مرير من أجل استرجاع سيادته، فخلّفت بذلك أكثر من مليون ونصف مليون جزائري. بالإضافة إلى انتصار جبهة التّحرير الوطني بزعامة ابن بله وفرحات عباس وحسين آيت أحمد وغيرهم من رجال الجزائر الشّرفاء، فأعلن عن استقلال الجزائر رسميا في الخامس من شهر جويلية من سنة 1962م.

توجيه الجنرال ديغول عبر شاشة التّلفيزيون خطابا للشّعب الفرنسي، ليخبرهم بأنّ الجزائر قد استقلت إثر استفتاء تقرير المصير الفاتح من جويلية، وترتّب عن ذلك مغادرة أكثر من مليون فرنسي للأراضي الجزائرية إلى بلادهم". وهذا يوضح أنّ الشّعب الجزائري شعب قاوم معاناة الثّورة لمدّة طويلة، والتزم الصّمود والكفاح هذا كلّه من أجل تحقيق الانتصار ونيل السّيادة.

6.خاتمة:

نخلص في الأخير إلى ما يلي:

نظرة الاستعمار الفرنسي للجزائري نظرة احتقار ، تملأها الكراهيّة والعنف والحقد والدونيّة:

– إبراز مظاهر الفقر في رواية ابن الفقير بدرجة اللّجوء إلى التهام الأعشاب الخضراء بالإضافة إلى اللباس الرثة .

– تمظهر الصّراع في رواية ابن الفقير الاهتمام بالدراسة أو الخضوع والانشغال بالنشاط الفلاحي للارتزاق.

– تصوير معاناة الجزائريين وهم في ديار الغربة وتكليفهم بأعمال شاقة في المناجم حيث الحرارة المرتفعة .

– الصفات العنيفة التي لقبت بها فرنسا الجزائر على أنهم وحوش ، والعمل على القضاء على هويتها .

– إنّ الاستعمار الفرنسي لم يترك وسيلة لإهدار مقومات الشخصية الجزائرية ، فوظف جميع إمكانياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثّقافية من أجل تحطيم الكيان الجزائري.

– وخلاصة القول يمكن القول على المؤرّخين تتبّع المسار التّاريخي للثّورة الجزائريّة منذ بداياته إلى يومنا هذا، حفاظا عليه من الضّياع والتّزييف ولكي لا يفقد قيمته ومنحه المكانة التي يستحقها، هذا كلّه يكسب الوطن هيبة ومستقبلا مشرقا . وأن يسهم علماء الآثار في تنظيم معارض حول تاريخ الثّورة المجيدة لتعزيزها وإعادة الاعتبار لشهدائنا الأبرار، وكذا لبلوغ صداها مستوى العالميّة.

7.الهوامش:

– التّعريف بالروايات:

***ابن الفقير**: (Fils du pauvre):هي أوّل رواية لمولود فرعون شرع في كتابتها سنة 1939م ، ونشرها في سنة 1950م. تتناول رواية ابن الفقير مأساة الفقراء الجزائريين، حيث أنّ الطفل الصّغير تبدأ معركته منذ ولادته فيتعرّض للفقر والمذلّة والمهانة.

تدور أحداث الرواية حول قصّة شاب ابن الفقير "فورولو" الذي يعيش حياة صعبة وقاسي جدا، وحاول الاحتفاظ بعادات وتقاليد أجداده رغم عيشه تحت ظلال الاستعمار الفرنسي، فتعلّم لغتهم في مدرسة فرنسية، وبطل الرواية يولد بنفس العام الذي ولد فيه " مولود فرعون" ويعيش في نفس القرية التي عاش فيها " مولود فرعون " في الجبال، الكاتب والبطل يكبران ويتحديان المصاعب، كما تظهر لنا هذه الرواية الأوقات الجميلة التي يعيشها أهل القرية في أوقات جني الزيتون والتّمار، وفورولو مثال حي على إنسان يريد الحياة ويقاوم الصعاب ليصل إلى مبتغاه. ينظر: مولود فرعون، رواية ابن الفقير، تر : د.عبد الرزاق عبيد ، دار تلانتيقيت، بجاية، 2013م.

*__الأرض والدم__ : (la Terre et le sang): 1935م. تدور أحداث هذه الرواية حول شخصية "عامر أوقاسي "الذي ترك الأم في شبابه وابتعد عن الحقل وقصد فرنسا، حيث التقى هناك في المنجم أو في ذلك النّفق تحت الأرض مع الكثير من المهاجرين المغاربة، فتأقلم عامر أوقاسي مع الكثير من العادات الفرنسية .

*__الدروب الوعرة__:(le chemins qui montent):1957م . لقد توصّل "عامر" من خلال تجربته على التعرّف على حقائق مهمّة ، كتعرّض الجزائريين إلى الاحتقار والإذلال والتّمييز العنصري من طرف الأجنبي.

الهوامش:

[1] - أحمد محمّد عطية، البطل الثّوري في الرواية العربية الحديثة، وزارة الثّقافة السورية ، دمشق،1977م ص27.

[2] - مولود معمري مثقّف قارع للاستعمار بلغته، على الموقع : www.aljazireera.net . في 2013/06/23 على الساعة 12:00.

[3] - عبد الله الركيبي : الشّعر في زمن الحرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1، 1994م، ص29.

[4] - ، نقّاد يصنّفون (نجل الفقير) لمولود فرعون ، أهم رواية رواية جزائرية ،كامل الشيرازي، من الجزائر، على الموقع : http//elaph.com . في يوم الخميس 19 مارس 2009م على الساعة 11:00.

[5] - مُحَمَّد العيد آل خليفة، ديوان شعري ، دار الهدى للطباعة والنّشر والتّوزيع ، عين مليانة ، الجزائر ، ط1، 2010م ، ص194.

[6] - وثيقة نادرة مع مولود فرعون، على الموقع : www.nafhamag.com في يوم : 12-01-2015م، على الساعة 15:00.

[7] - مُحَمَّد مصايف، الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعيّة والالتزام ، الدّار العربية للكتّاب طرابلس – تونس والشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع الجزائر ، 1983م، ص5.

[8] – مولود فرعون، ابن الفقير ، دار تلانتيقيت للنّشر، بجاية – الجزائر ، ط1 ، 2013م، ص31 .

[9] – المصدر نفسه، ص 83.

[10] - المصدر نفسه، ص 98.

[11] - المصدر نفسه، ص 66.67

[12] - المصدر نفسه، ص 16

[13] - المصدر نفسه، ص 83

[14] - مولود فرعون ، الأرض والدم، دار تلانتيقيت للنشر ، بجاية – الجزائر، 1972م، ص 91

[15] - المصدر نفسه، ص 92

[16] - المصدر نفسه، ص 168.

[17] - سعاد صيبون ، التّشكيل السّردي في رواية الأرض والدم لمولود فرعون ، مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها ، تخصّص أدب جزائري ، جامعة بونعامة ، السنة الجامعية ، 2015م ، 2016م، ص73 .

[18] - مولود فرعون ، الدروب الوعرة، الجزائر، 2012م، ص10.

[19] - المصدر نفسه، ص 159.

[20] - المصدر نفسه، ص 279.

[21] - المصدر نفسه، ص 281.

[22] - محمّد طمار ، تاريخ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2006 م ، د ط ، ص10.

[23] - أحمد منّور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 2007م ، ص10.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد مُحَّد عطية، البطل الثّوري في الرواية العربية الحديثة، وزارة الثّقافة السورية ، دمشق،1977م .
2. أحمد منّور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 2007م.
3. سعاد صيبون ، التّشكيل السّردي في رواية الأرض والدم لمولود فرعون ، مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها، تخصّص أدب جزائري ، جامعة بونعامة ، السنة الجامعية ، 2015م ، 2016م. .
4. عبد الله الرّكيبي : الشّعر في زمن الحرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1، 1994م..
5. مُحَّد العيد آل خليفة، ديوان شعري، دار الهدى للطباعة والنّشر والتّوزيع ، عين مليانة ، الجزائر ، ط1، 2010م .
6. محمّد طمار ، تاريخ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 م ، د ط .
7. مُحَّد مصايف، الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعيّة والالتزام ، الدّار العربية للكتّاب طرابلس – تونس والشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع الجزائر ، 1983م.
8. مولود فرعون ، الأرض والدم، دار تلانتيقيت للنشر ، بجاية – الجزائر، 1972م.
9. مولود فرعون ، الدروب الوعرة، الجزائر، 2012م.
10. مولود فرعون، ابن الفقير ، دار تلانتيقيت للنّشر، بجاية – الجزائر ، ط1 ، 2013م.

المواقع الالكترونية:

1. مولود معمري مثقّف قارع للاستعمار بلغته، على الموقع : www.aljazireera.net . في 2013/06/23 على الساعة 12:00.
2. نقّاد يصنّفون (نجل الفقير) لمولود فرعون ، أهم رواية رواية جزائرية ، كامل الشيرازي، من الجزائر، على الموقع : http//elaph.com . في يوم الخميس 19 مارس 2009م على الساعة 11:00.
3. وثيقة نادرة مع مولود فرعون، على الموقع : www.nafhamag.com في يوم : 12-01-2015م، على الساعة 15:00.